

شعر

ضربة شمس

زكريا محمد

الحصادون

- من أنتم أيها السائرون في الدروبِ الوعرة،
ينزف العرق من أبدانكم؟!

• نحن حصادو التلال المنحدرة

مضيينا عند الفجر

وحصدنا الريح

والوقت

والهلوسات التي طلعت على وجه الأرض كأعشابِ السافانا

آه ما أعجبه حصيدنا !!

وكو أن الليل لم يهبط سريعا

كنا حصدنا بمناجلنا

الصمت

والموت

والحجر

وهبطنا إلى الماء

كي نحصد موجته ورجفته

وذلك كي يكون كل شيء كاملا . . .

كاملا وأكيدا.

الأعمى و كلبه

لكل امرىء كلبه ويوم عماء
وهدف حياته أن يجمع بينهما
وتم أناس تربض كلابهم بسلاسلها بين أرجلهم
لكن عماءهم لا يطل أبدا
وهناك من يأتي عماءهم
بعد أن تهجرهم كلابهم

والسعيد

من يكون كلبه ليوم عماء
ويوم عماءه لكلبه
وهو بينهما لعبة للعتمة والنباح.

١٩٩٩/١١/٢٨

الأغنية المرحية

إذا بدأ صباحك بأغنية مرحة وساذجة
وحاولت أن تنساها
فعلقت بك وكررتها إلى ما لا نهاية
فخذ حذرك
لأن الأمر مقلق وخطير
فهنا بالضبط ،
هنا ،
تبدأ العثرات والنوبات القلبية والطلقات التي تصفر خلف الظهر
فما الأغنية الصباحية المرحية
سوى اللمسة الأخيرة في الكمين
آه ، لا تستهن أبداً بأغنية الصباح
كما استهان قيصراً بالنبوءة العابرة عن الخامس عشر من آذار المشؤوم
فالموت ذاته يكمن خلف هذه الأغنية .

١٩٩٩/٢/١٣

عين أريحا السريّة

مثل عين سريّة
تقبع بين الأنقاض نجمة قصر هشام
كي نرى عبر أشعتها الستة الحجرية
كيف يهلك العالم بالزلال

العالم لا يولد
العالم يهلك
حين تنظر إليه عبر العين السرية لأريحا.

آذار ١٩٩٩

الطريق

طريق إلى الماء
ظلت أعبره إذ غابت الشمس
أو هتكنتي النجوم
وما كان قصدي السباحة
أو كان قصدي الصلاة
بل كنت أرغب أن أبصر الماء
معتما مثل عين الضير
طريق وعير
في غيره كان مرّ الحصيف
ومرّ الغرير
لكن روجي،
عرجاء
كأبَاء
ظلت تدافعني
وتدفعني عنوة
عبر وحشة هذا الطريق.

١٩٩٢

رعاة النوم واليقظة

رعاة الظهيرة يغفون في الظل
أغنامهم تتجول من حولهم
وترعى لحاهم
وما يتهياً في نومهم من نبات

رعاة الظهيرة في الشمس
أغنامهم تتبخر من حولهم كالمياه
وهم يبترون العصي
لكي تنبش الكمات .

بيت

بيت

كي يسح الزيت
كيما تدخن شمعة
وتبيت ما بين الشقوق الروح
وفي الشقاق علاقة الأبناء والآباء

بيت

كي يطل من النوافذ غرقدا الأعداء
بيت وأطى
كيما نكون على مسافة خطوة من تربة الأموات
بيت
كي يحل الصمت .

١٩٩٢

سرّ الوردة

لا أنا

ولا أنت

ولا الريح

عرفنا سرّ الوردة

تمددت بعيداً على الشطّ:
عاريةً
وشريرةً
كي يلعقَ العجل الأزرق قدميها

تركنا، نحن الصيادين العراة، كل شيء وجئنا من أجلها
طوفنا من بعيد حولها:
شباكنا مقطعةً
وزوارقنا مخلعة

لكن لا أنا
ولا أنت
ولا الريح
عرفنا سرها

الريح تحطمت مثل واجهة زجاجية
وأنا هويتُ على سبعة أسيفٍ منصوبةٍ حولها في الرمال
أما أنت
يا أخي
يا ثالثنا
أيها الصياد الناجي
خذني في الزورق المخلع
واحفر لي قبري في المياه.

١٩٩١

الذَّلُول
عتمة صُلْبَةٌ
وصحار مقطعةٌ بالعواء
والسماءُ
طبلَةٌ
وأنا فوقَ ظهرِ الذَّلُولِ

نارٌ على تلة
- من أنار علي تلة عاره؟! -
ونباح رتيبٌ فقرَ الليل
وأنا وذلولي
نهُومٌ في آخر الفقرات
ونسلم أرواحنا لفخاخ الضياء.

١٩٩١

صور

الشهداءُ في الالبوم
غريبون غريبون:
سوالفهم طويلةٌ
قمصانهم مزومةٌ
وبسماتهم غريرةٌ
حتى كأنهم سقطوا بضربةِ شمس

الشهداءُ في الالبوم
بعيدون بعيدون:
يقفون حيارى
وبلا حيلة
حتى كأن عدسةَ عَزومٍ
هي التي قتلتهم
ورمتهم عند الأفق.

اسم

من كان بلا اسمٍ
سيبرى له اسمٌ
ومن كان بلا فمٍ
سيُفتح له فمٌ بالسكين.

سفر
لكلِّ واحدٍ لعنته وبغلته
يَعْتَسِبُ لَهُمَا فِي سَفَرِهِ
وَيَنَامُ - حِينَ يَحِلُّ لَيْلَهُ - بَيْنَهُمَا .

٢٠٠٠ / ٢ / ٢٣

دخان
مارين ببيوتنا
ما صعدنا درجا
ولا فتحنا بابا
توقفنا لحظة فقط
كي نتلقي صرخة من النافذة:
- هل أحضرتم لنا الشموع؟
• لا ، لم نحضر نورا ولا دفئا
لم يكن لدينا الوقت
وقتنا كومه في الساحات مثل الهشيم
ثم جاء من بيده الثقاب . . .
وغطى الدخان-دخان أيامنا-الأرض والسماء .

٢٠٠٠ / ١١ / ٢٦

رسالة غامضة
آه أيها الذهب
آه أيها الفضة

يا معدني الشمس والقمر الحبيبين
لا ترنًا في لجوم الخيل وسرجها
لا ترنًا بعد
كي لا تتشوش أسماعنا
فنحن في ليلة البدر المخيفة هذه
ننصب راجفين آذاننا
في انتظار همسة قادمة من نجم بعيد.

٢٠٠٠/١١/٢٦

عميان

لنا طريقتنا في معرفة الأشياء :
نلمس باليدين الحديد البارد
لنضمنه إلى صفوفنا
ونطفئ الشمعة
كي نبصر وجوه أحببنا

آه ما أصعب أن تكون أعمى
فأنت ترمي ذاتك في الأشياء لكي تفهمها.

٢٠٠٠/١١/٢٦

ماس

ثم في الحجر
نار

وصرخة

وعصفة ريح

لذا أمشي قرب السلاسل الحجرية حذرا موسوسا
صارخا: لا تغتروا بالطحلب الآمن على الحجارة
فطرقة واحدة بالحديد على ظهر الحجر
وسوف ينفجر في أيديكم الخرقاء فص الماس.

٢٠٠٠/١١/٢٦

كلاب وأفكار

للبدوي أفكار غريبة
تخرج من دماغه وتقعي أمامه
وهو يصفر لها
ويرمي العصا لتحضرها
فتقول في دواخلها :
ياله من رجل غريب يظن الأفكار كلابا !!
غير أنها تركض ، متواطئة ، وتحضر العصا
كي لا ينكشف أمرها

هو لا يقدر أن يدبر أفكاره
إن لم تنبح وتصبص بأذيالها
وهي تقبل باللعبة
مدركة أن فكرة البدوي لا تتجسد إلا في كلب أو حصان
ولأن الخيل تعلق شكهما في الاصطبلات الملكية
فأن الفكرة مرغمة على أن تكون كلبا لا غير .

٢٠٠٠/٣/٢١

ضربة شمس

وُلدنا من ضربة شمس ،
من ضربة منجل في الهواء ،
ومن ضربة قرن على حجر .

رمينا المشيمة للكلب
ورمينا أرواحنا في الوحشة .

نهضنا على ركب مرضوضة
نهضنا نهوض من يخشى أن لا ينهض أبدا .

خَيْطُنَا مِثْلَ نِسَاءِ فَقِيرَاتٍ
شَفَاهُنَا عَلَى الصَّمْتِ .

جُنُبًا إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ
جُنُبًا إِلَى الْوَرْدَةِ
جُنُبًا إِلَى ذِكْرِيَاتِ طِفْلَتِنَا .

الرَّمْلُ غَلَّتْنَا
وَالرَّمْلُ عَلَيَّ خَيْوَلْنَا .

طَلَعْنَا عَلَيْهِ لَهْتًا
وَنَزَلْنَا عَنْهُ لَهْتًا .

وَلَا دَلِيلَ لَنَا عَلَى أَسْمَائِنَا
سِوَى حَرْفٍ غَيْرِ مَعْجُومٍ
لَا دَلِيلَ لَنَا عَلَى آبَائِنَا
سِوَى صَمْتِ الْكَلَابِ عَلَى الْبَابِ .

عَلَقْنَا بِخِيُوطِ أَحْدِثِنَا
بِشَعْرِ حَوَاجِبِنَا
وَبَأَذْيَالِ مَذْنِبَاتِنَا .

أَقْعِينَا كَالْكَلَابِ أَمَامَ الْبَابِ
أَقْعِينَا قَانِطِينَ أَمَامَ الْوَرْدَةِ .

وَالْوَرْدَةُ ذُبَيْحَةُ ظَهِيرَةِ

بَدِيدًا كَانَ طَحِينِنَا
وَحَدِيدًا كَانَ يَأْسُنَا فِي أَصَابِعِنَا .

خَلَّ عَنَّا لَكِي تَعْرِفْنَا ظِلَالِنَا
خَلَّ عَنَّا لَكِي تَنْبَتَ لَنَا أَظْلَافُنَا .

جرسٌ كبيرٌ فوقنا
جرسٌ واسعٌ مَلحاحٌ يُضَيِّعنا .

نُصَلِّي كي نُسَكِّت الجرس العظيم في شفاه موتانا .

خذنا من أيدينا
من خواصرنا ، ومن تحت أئدائنا
فنحن إخوة قتره وحريق .

هذه إصبغنا مبلولةٌ كي نتقرَّى ريحنا
هذه إصبغنا مجروحة من كثرة أسئلتنا .

لعبنا بأسمائنا
بعُرى أزرارنا
وسُقنا صلواتنا كالخنازير أماننا .

ربطنا حميرنا بأرجل أطفالنا
ربطنا الخريف بالصيف لكي تهدأ رعشتنا .

نادنا من وراء حِجراتنا
نادنا بصوت فضاح يكسفنا ويُعيرنا
نادنا بصوت يَهْتِك بُوصنا وخشبنا .

أُمَّ بنا كي نُصَلِّي صلاةَ نَفَلٍ
أُمَّ بنا كي نعتدل أرواحنا .

هبيدٌ عداؤنا
وصخرٌ عشاؤنا
وصمتنا يتدفقُ كدم العادة بين أرجلنا .

نُصَلِّي كي نُفَتِّت حصي كلانا

نُصَلِّي كِي نَبَلِّ فَتَيْتِنَا لِعَشَائِنَا .

ولا حصانة للحصاة
ولا لليوردة
فالكل تحت الرعدة .

وُلدنا من انقلاب شفة
من انقلاب جفنٍ
ومن ضربة قرنٍ على حجر .

١٩٨٨-١٩٨٧